# المسابقة بين الوضع المزري والعلم الملائم

حمدان حمدان*

■ ليس من قبيل المفاجأة، او اثارة الدهشة، ان يأمر السيد مسعود البارزاني، رئيس (جمهورية كردستان) بانزال العلم الوطني لعموم العراق، واستبداله بعلم كردي، كبرهان انفصالي اضافي، حيث حركات التمرد الكردية، بقصد تدمير الدولة العراقية واقامة كيان كردي، ظل هو الهاجس الاول، رغم التبرقع بعباءات (العراقية) و(الوطنية).. منذ ان نال المرحوم الملا مصطفى البارزاني، رتبة الجنرال من اسرائيل، او منذ ان قامت الدولة العبرية، باقامة الشعائر اليهودية حزنا على وفاته، وهي عادة غير مسبوقة اطلاقا، في الطقوس الدينية العبرية، وان (الغريب) الاول والاخير، الذي تقام له شعائر دينية عبرية احتفالية، هو الملا مصطفى البارزاني، كما يؤكد الكاتب اليهودي شلومو ناكديمون في كتابه «الموساد في شمال العراق».

اليوم، يرفع ابن المرحوم الملا، علم كردستان ويسقط علم العراق، لان هذا العلم من صنع نظام الرئيس صدام حسين، او هكذا هي الذريعة المتقولة، الى جانب ذرائع اسلحة الدمار الشامل، والمقابر الجماعية في الانفال.. واستدعاء الاحتلال.

ليس غريبا ولا هو بالاستثنائي، ان القيادة السياسية الكردية تاريخيا، لم تترك بابا خارجيا، الا وقرعته، والمشكلة ان هذه الابواب الخارجية، لم تكن متجانسة في شيء، فمن ايران الشاه، بعد كارثة مهاباد، جمهورية الكرد الساقطة على يد والد الشاه، وما بين الشاه واسرائيل، كانت العلاقة الكردية العراقية، تجد طريقها الميسور، كما يؤكد رئيس الموساد في ايران وشمال العراق، في مذكراته المعنونة «الخيار الاخير لديفيد كمحي»، وقبل ايران واسرائيل، كان زعيم التمرد الكردي الملا مصطفى، يحط رحاله، اواخر الاربعينات وجزء من اوائل الخمسينات في موسكو الشيوعية.

ومن موسكو، بعد العفو العام، الذي اطلقه المرحوم عبد الكريم قاسم، الى بغداد، ثم ثانية ليثور التمرد ضد بغداد، اي ضد الطاقم السياسي (العسكري) الذي اعلن ثورة تموز (يوليو) عام 1958.

ومع ذلك، فان رئيس العراق الحالي، السيد جلال الطالباني، يستظرف في انتقائية كوميدية، علم العراق في ظل نظام عبد الكريم قاسم، وهو انتقاء له دلالته الطالبانية المعهودة، مهزلة في الجد، او جد في المهزلة، فالطالباني، لا يقرع توأمه في العمالة بارزاني، على فعلته بحق علم الجمهورية التي هو رئيسها، بل يختار من عنده، علما لطيفا للعراق، وكأن العلم، خارج كل اجراءاته الدستورية والتصويتية والتاريخية والشعبية. حيث هو يسقط من الجو في ليلة صفاء مقمرة!

فاذا كان الطالباني، لا يعلم، وهو يعلم باليقين، بأن علم بلد ما، هو رمز تاريخي لهذا البلد، وهو حيثية دستورية ترد في متن الدستور، بأبعاده والوانه وعدد نجومه وعباراته، اما اذا كانت الاضافة، هي النشيد الجهادي، في كل تاريخ العرب والمسلمين، فان نداء (الله اكبر) ليس خصوصية صدامية، بل انه النداء، كما اعتبره المسلمون، وعلى رأسهم القائد المظفر صلاح الدين الايوبي، الذي يصل الارض بالسماء، اذا لم يخض العرب المسلمون، معركة عظيمة او فتحا مبينا، الا وكان سابقهم الى الجهاد، صرخة الله اكبر، فمن المشين حقا، ان يهزأ البارزاني من هذا النداء، بوصفه كتب بيد صدام، او في تعليق استنكاري آخر، بان (الله اكبر هذه) تارة تكتب بخط كوفي واخرى بخط نسخي او بخط رقعي، او ليتم التهافت في سؤال السفه الاخير: اي علم تقصدون؟

ومن الطبيعي الا يعرف السيد البارزاني، اي علم يقصد القوم، فهو كما يعترف الحاكم بريمر، في كتابه (عام في العراق) رفض (اي البارزاني)، ان يصير عضوا في مجلس الحكم الانتقالي الذي انشأه بريمر مع بداية الاحتلال، فلما استدعاه بريمر ليسأله عن سبب رفضه اجاب: لمن الطبيعي ان يكون مكان المجلس هو بغداد، وانا لا احب هذه المدينة ولا اطيق العيش فيها.. فما كان من بريمر الا ان اقنعه بأبسط السبل! ويضيف بريمر: جميعهم كانوا يعرضون في البداية، لكنني كنت افهم فارق الحقيقة، بين عرضهم واستعراضهم!

نعود الى القول، بأن من يكره بغداد، لا يعرف علمها بالطبع، فالحركة الكردية السياسية، كانت منذ نهاية الخمسينات، تلعب دور المعول، في خراب العراق، بحجة الحقوق المهضومة، علما بأن دماء الاكراد البينية (كردية ـ كردية) كانت تنسال من الجبال الى السهوب، باكثر مما هبط شعب الفايكونغ الجبلي الى البلدان الاسكندنافية، فيما توضح ارقام جميع الضحايا على كاهل (فاشية) بغداد العربية.

ان اسقاط العلم الوطني العراقي، على يد برزان، بمثابة مقدمة لاسقاطه في فيدراليات اخرى، فقد اصبح تقسيم العراق، بعد اخفاق الاحتلال الامريكي، والنزاع مع ايران، والخنوع الكامل للنظام العربي، تجاه الامر الواقع في العراق وفلسطين، من موجهات الاستراتيجية الامريكية، حيث لم يعد من بين الخيارات المتاحة، الا تقسيم العراق، فاسقاط العلم، هو اسقاط لاقليم كردستان من خارطة العراق، وهو البداية في الامتحان، اذ لا سبيل للاجتراء على المحارم الوطنية، الا ما يقوم به، او يبادر اليه، ساسة اكراد، كان لهم، ولآبائهم من قبل، (فضيلة) الارتماء في احضان الخارج، من طهران الشاه، الى واشنطن جونسون، ثم منها الى تل ابيب دايان.. ومن اجل استكمال الدورة، فان الذاكرة ما زالت تستحضر، دروس مادلين اولبرايت في الوفاق الكردي، وغيرها من دروس الاستخبارات الامريكية والبريطانية والاسرائيلية، فقد عاشت المعارضة الكردية، وغيرها من المعارضات العربية العراقية، طويلا في اكناف لندن وواشنطن، وبعضها الآخر، متدثرة بخيمة الستر، في مكاتب تل ابيب الخلفية.

ومع اسقاط العلم، فانه لم يعد ما يستدعي التستر، فالقوم، باتوا يجترئون ـ بالحماية الامريكية ـ اليوم، ما كان عصيا عليهم بالامس، ولعل ورقة التوت، كانت قد سقطت ـ لمن يمتلك البصيرة ـ قبل اسقاط العلم، بنيف وثلاث سنوات، اذ ما هي قيمة العلم، اذا كان الرغاليون الجدد (من ابي رغال)، قد استساغوا اسقاط الوطن قبل العلم؟! ففي محفوظات الذاكرة، ما هو اشد وطأة واعظم نكيرا، فأجراء الغزو، كانوا قد صمموا علما بالازرق والابيض للعراق، هو الوحيد من اعلام العالم، الاقرب لعلم اسرائيل، وهم انفسهم، كانوا في جدل التحبيذ، ما بين الاحتلال والتحرير، وهم انفسهم، من اقترحوا يوم احتلال بغداد، عيدا وطنيا.. فأين يقع اسقاط العلم بين هذه الانجازات الحضارية؟! اين يقع مع اسقاط العلم، انجازات مغاوير صولاغ الاجرامية، ومع انجازات لا تقل شأنا، من عصابات بدر وبيشمركة اغوات بهدينان وصوران الكردية؟ اين يقع اسقاط العلم، من تفجير ضريح الامامين العسكريين في سامراء؟ واين يقع في جنون الهجمات الوحشية، على مساجد السنة وحسينيات الشيعة.. فيما تقيد الوقائع ضد مجهول! فهو علم ملائم لوضع مطابق، مع فوضى الامن، والقتل على الغارب، وبرمجة النهب والسلب، ومع سرقة ثمنمئة الف برميل نفط، من حوض البصرة فقط، وهو مال العراق السائب الذي يقتتلون على اختطافه، علما بانه ما من زعيم ميليشيا نهابية، إلا ويبتدىء خطابه بـ«بسم الله الرحمن الرحيم»، ولا ينسى استحضار معلقات انشائية، بخصوص الاخلاص والكفاح المميت من اجل انقاذ العراق وخلاصه.. ومع الاختلاطات الانحطاطية، باستساغة الموت اليومي والجماعي، ومع تحلل الدولة وانفراطها الى مزارع عائلية عشيرية وزارية، واقطاعات ميليشياوية نهابية، وموت النخوة والاستراحة من حمل الاخلاق، فانه لا يشرف العراق ان يبقى علمه الوطني مرفوعا في ظل احتلال غاشم، وتبعية عبودية في مدارس المروق والعتوق، ذلك ان المطابقة بين قاع الوضع المشين، يجب ان يتكافأ مع اعلام القائمين عليه والمدافعين عنه، فعلم الوضع العراقي تحت زراية الاحتلال وانحلاله هو فعلا علم بارزاني الملائم، وهو ذاته، علم الطالباني والجلبي والحكيم والجعفري، مع بقية الجوقة العلقمية التي استساغت تسليم بغداد، في مقابل الوثوب على المال الحرام، وكرسي الوجاهة الداعر.

اما علم العراق الوطني، مرصعا بالنداء التاريخي الله اكبر، فسترفعه زنود الاشاوس السمراء من ابطال المقاومة العراقية المنصورة، فارفعوا اعلامكم حيث شئتم ما دامت تتدلى تحت زعيق الاباتشي والغربان السود من اسلحة بوش، على ان تكنيسها على يد شعب البطولة ليس ببعيد.

* كاتب من فلسطين يقيم في سورية

# من زاوية مغايرة: عقلانية النووي الايراني

ابراهيم قرصاص*

■ بعيدا عن غوغاء الطرح المتساهل، من الموضوعية العلمية الاشارة الى أن المشروع النووي الإيراني جاء على خلفية الحق في امتلاك التكنولوجيا النووية وهو الباب الذي فتحت مصراعيه الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ومن سوقوا للنووي في بداية اللعبة هم الساسة والخبراء الاسرائيليون من منطلق نفسية احتواء كبرى ومن ثم إحباط العرب والمسلمين باعتبارهم العدو الدائم للكيان الاسرائيلي، إلا أن نمطية رامبو السياسية الامريكية نسيت من حيث لا تمتلك رؤية جدلية علمية للصراع العربي ـ الاسرائيلي أن الأدمغة العلمية العربية والاسلامية هي خزانها الأول – ولنا هنا الأدلة الكافية داخل المخابر العلمية النووية والصناعية العسكرية لكافة دول أوروبا حتى لا نتوقف على مزية الأدمغة العربية والاسلامية على أمريكا وبريطانيا فحسب ـ أعتقد أن الترويج الى أن ايران خطر نووي قادم على منطقة الشرق الأوسط جزء من الفخ الأمريكي الإسرائيلي والأوروبي بشكل أوسع، لأنه ليس من المصلحة التاريخية الاستراتيجية للدول الغربية أن تمتلك لا إيران ولا أية دولة إسلامية في العالم التكنولوجيا النووية ولا حتى تكنولوجيا والت ديزني.

أرى بوضوح أن ما يتم الترويج له من خطر ايران النووي على المنطقة يدخل في حسابات أجندة الشرق الأوسط الجديد بالتصور الأمريكي الإسرائيلي في هذه المرحلة، خاصة وأن لهجة الخطاب السياسي الايراني أخذت تتموقع على مزيد الحقائق وتمتلك أوراق ماهية الصراع الذي نظرت له سابقا ثقافة امريكية ذات أبعاد توسعية تتخذ من أعداء العرب درعا لها، وفي مقدمتهم إسرائيل التي تلعب بذكاء خارق دور التلميذ الأحمق في قسم تبادل الأدوار بهدف الزج بالشرق الاوسط الى قنبلة نووية موهومة لإيران التي تجرأت وشرعت في تطوير حقها في امتلاك التكنولوجيا النووية مثل غيرها الأعداء وبنفس الثقافة الدفاعية من الناحية المبدئية والقانونية، وأكبر دليل على هذا النجاح العلمي السياسي الذي تحققه يوما بعد يوم إيران هو تراجع التهديد الغربي الأمريكي الجنسية التحالفية وتليينه للهجة توقيف كل محاولة تخصيب لليورانيوم الايراني بعد أن صدمته للمرة الثانية لهجة ايران السياسية العلمية الواثقة والمطلعة على أوراق اللعبة، خاصة بعد إسقاط أقنعة الوهم العسكري الإسرائيلي في الحرب السادسة على العرب عبر محور لبنان وانكشاف مدى هشاشة القوة العسكرية الاسرائيلية من الناحية النظرية التي هولت لها دول الغرب وسقطت في فخها الأنظمة العربية ومنها من لم يستفق إلى يومنا هذا ومنها من لا يستفيق إلى يوم يبعثون.

أعتقد أن السؤال المطروح في قضية هذا الأسبوع، النووي الايراني خطر على من .. سؤال مهم وذكي، دعونا نتجرد عن الولاءات الكلاسيكية ونؤكد أن فرصة منطقة الشرق الأوسط الحالية كما هي بحدودها وخيراتها تستدعي الإنخراط بقوة حضارية في المكوك الإيراني القادم الذي سوف لن يتسامح مع كل متخاذل في المنطقة مع المشروع الحضاري للإسلام هذه المرة وليس مع الإسلاموية أو مع الإسلامية بالمفهوم الأيديولوجي، لأن مستوى الصراع الحضاري بلغ ذروة الحسم الجاد وأمريكا تعرف هذا جيدا خاصة وأن أدمغتها المفكرة مثل هنتينغتون قد مهدوا الى هذه المرحلة وتحدثت عنا الثقافة والتحليل العلمي قبل أن تصبح أمرا واقعا على الميدان.

لا بد على العرب من خلال ما هو سائد تحديد فرصة الإنتماء الى من ومع أية جهة بكل الحسابات الحضارية، السياسية والبراغماتية الواسعة بالمفهوم العربي المسلم وليس بالمفهوم الأمريكي الضيق.

اعتقد أن ساعة دوران حسم الصراع بدأت مع بداية نجاح إيران في تطوير تكنولوجيتها النووية وهي فعلا دفاعية موازية لحق الدول الكبرى في الدفاع عن نفسها أيضا وأرى أن إيران ليست بالسذاجة بمكان السقوط في فخ أن تشكل خطرا على منطقة الشرق الأوسط، لا هذا الكلام منطقي من الناحية التاريخية ولا من الناحية المستقبلية، إيران بما هي عليه الآن تعرف جيدا ماذا يحدث وإن غدا لناظره قريب.

* شاعر ومذيع من من الجزائر
guersas@maktoob.com

# عاشت المؤامرات العربية المتحدة!

احمد السنوسي*

■ لست ادري هل يقر «لسان العرب» القاموس اللغوي وليس لساننا الاخرس سجين افواهنا، بأن فعل «تآمر» مفردة مستحدثة او تعبير تضرب جذوره في اعماق التاريخ العريق عراقة ما يحاك في الظلام من دسائس و«دواوين». ولاحظوا معي ان كلمة «دواوين» التي تحيل على مراكز القرار السياسي تعني في عدد من الدول العربية الخطط السرية للاطاحة بالخصوم من معارضين ومنافسين التي يبرع في حبكها رجال الحاكم المفروض ومستشاروه وحواريوه وجواريه المصونات المحظيات. واليوم لا نكاد نصادف بلدا واحدا لا يشتكي في السر والعلن من ان جاره العربي او الاسلامي او حتى الافرنجي منغمس حتى اذنيه في مسعى تآمري حاقد لا يبقي ولا يذر.

ما دام هؤلاء الحكام المفروضون يستثمرون العداوات القديمة ونزاعات اقدم ليس للشعوب يد فيها. وهذا راجع لكونهم اقتحموا السلطة كخلسة المختلس، بلغة الحديد والنار والمشانق. ويبدو ان الشهية عندهم مفتوحة على مصراعيها لهضم ثقافة المؤامرة وتحويلها الى مشجب لتعليق الاخفاقات المحلية في كل المجالات بدءا من المناهج التعليمية دون الحديث عن حقوق بني الشر والديمقراطية لانها غير موجودة اصلا وانتهاء بالتباري الرياضي.

وعرض مواصلة صراع الديكة وتبادل الاتهامات والشتائم والرشق بأواني الطعام وكؤوس الشراب، لكون غالبيتهم سفراء لمصالح دول غير بلدانهم الاصلية، وجدوا لهم بدائل فعالة من قبيل اطلاق فضائيات واصدار الصحف الملونة من اجل تمرير المخطط الامريكي الاسرائيلي الرهيب ومحاولة النيل من انتصار المقاومة في لبنان والتصغير من شأنها، ورد الصاع صاعين للجار المتآمر بالسليقة والفطرة.

هكذا كانت اسرائيل ـ ولا تزال ـ تصور الشعوب التي قاومت الاحتلال والغزو والارهاب الصهيوني في الستينيات من القرن الماضي انهم يولدون وبين فكهم سكين. قبل ان تتفرغ الادارات الامريكية المتصهينة المتعاقبة لرسم ملامح مرعبة للعرب كمخلوقات من الصنف الثالث تخيف بها الاطفال المشاكسين والرأي العام الراشد والمغرر به اعلاميا. وقد سارع ساسة العرب، بمازوشية لا يحسدون عليها في مجال جلد الذات، الى تزكية تلك الصورة المركبة للعربي الحاقد وتطوعوا للتنكيل به بوكالة عن سدنة واشنطن الذين يبحثون بالفتيل والقنديل والليزر والمجهر عن انتصار واحد على «الارهاب» العربي ولم يجدوا اليه سبيلا رغم بحث مضن في جبال افغانستان وتضاريس باكستان والأزقة الخلفية في بغداد، وعادوا اليوم الى البحث عنه في معجون الاسنان الذي يحمله ركاب الطائرات في حقائب اليد بعد ان تحول الارهاب الصلب الى «ارهاب سائل» بفضل الخيال الخصب لفطاحلة الاستخبارات في لندن وواشنطن.

ولم يكن مدهشا ان يشيد ايهود اولمرت بعد احتدام الحرب اللبنانية بحكمة ورزانة بعض العرب الذين رأوا في المقاومة مؤامرة جديدة ضد الوجود والهوية العربيين، تضاف الى الرصيد التآمري العربي الحافل خصوصا وان «المؤامرة» اللبنانية التي اتخذت شكل صمود وسط اعصار العدو، تأرجحت، حسب ظنهم، ما بين «المغامرة» و«المقامرة». نفس الاشادة الاسرائيلية بحكامنا من ورثة ثقافة المؤامرة الدائمة صدرت عن الرئيس جورج بوش الصغير، وهو ما اعتبروه بمثابة تسجيل نقط لصالحهم قابلة للاستثمار في الوقت المناسب بل هم لا يرغبون سوى في الحصول على رضى القاطن بالبيت الابيض مهما كان سجله اسود، كما يرضى العاشق الولهان بمجرد نظرة او ابتسامة عابرة من الحبيب دون طمع في المزيد!

ويبقى ان فلسفة المؤامرة العربية تشبه الى حد كبير الدمى الروسية، فداخل كل مؤامرة كبيرة ترقد مؤامرة اصغر منها وهكذا دواليك، لكن لا احد بقادر على الامساك بخيوط المؤامرة الكبرى الحقيقية الامريكية الاسرائيلية الغربية التي تتهدد بالفعل العرب شعوبا وارضا وهوية وثروات ووجود. وكأنهم اصيبوا جميعا بعمى الالوان الذي يصيب الدجاج كلما حل الليل.

اما لماذا لم تنتصر امريكا واسرائيل على الارهاب، فالسبب بسيط للغاية، لان الارهاب هو ارهاب امريكي صهيوني غربي يتجلى اليوم في العراق وفلسطين ولبنان وافغانستان، ولائحة الانتظار طويلة.

وكل عام والمؤامرات العربية المتحدة بألف خير عميم.

* فنان من المغرب

# مطالب الموظفين الفلسطينيين عادلة ولكن..

أحمد الحيلة*

■ إنها مأساة اجتماعية.. ليتصور أحدكم أنه لم يستلم راتبه منذ ستة أشهر على التوالي دون أن تكون لديه أي مدخرات، وهو يقف على أعتاب بداية العام الدراسي بما يتطلبه من رسوم وكتب وملابس، وهو يستعد ليستقبل شهر رمضان بعد ثلاثة أسابيع، وهو يتهيأ لاستقبال عيد الفطر.. فكيف ذلك؟ ومن أين؟

تخيل أن ابنك يبكي جوعاً وأنت لا تستطيع أن توفر له الخبز، أو أنه يبكي من المرض وأنت لا تستطيع أن توفر له العلاج، أو أن الرضيع بحاجة إلى الحليب وأنت لا تستطيع..

لذلك من الطبيعي، بل من حق المعلمين والموظفين والآباء أن يتظاهروا وأن يحتجوا، وأن يعربوا عن غضبهم من سوء الوضع وما آل إليه الحال في فلسطين. ولكن السؤال: عليهم أن يتظاهروا ويحتجوا ضد من؟ ومن المسؤول؟ يدرك الجميع أن الحكومة الفلسطينية الراهنة، جاءت إفرازاً وتعبيراً عن إرادة جماهيرية فلسطينية عبر صناديق الاقتراع في انتخابات نزيهة وشفافة، وأنها (الحكومة) ضحية ككل الشعب الواقع تحت الحصار والتجويع؛ هذا الحصار الذي يهدف إلى عقاب الشعب الفلسطيني على ديمقراطيته وخياراته الحرة، في ذات الوقت الذي يهدف فيه للضغط على الحكومة الفلسطينية للتنازل عن حقوق الشعب الفلسطيني وثوابته الوطنية.

من اليسير أيها الآباء والمعلمون المضربون عن العمل أن تستلموا رواتبكم وبأثر رجعي وعلى وجه السرعة، ولكن الثمن المطلوب: الاعتراف بشرعية الاحتلال من خلال الاعتراف باتفاقيات أوسلو التي يتنكر لها الاحتلال إلا من اعترافها بشرعيته على أرض فلسطين، وليس ذلك بكاف، بل عليكم أن تنزعوا سلاح المقاومة وأن تتنكروا لدماء الشهداء، لتتحول القضية والحقوق إلى مطالب سياسية أو اقتصادية تستجدى من الاحتلال ومجلس الأمن الأمريكي. إن مشكلة الرواتب ظاهرها إنساني وهي حق، ولكن جوهرها سياسي محض.

التشخيص الدقيق لمشكلة الرواتب وغيرها من صور المعاناة، يقودنا إلى أن الاحتلال وكل من يشارك في الحصار على الشعب الفلسطيني هو المسؤول بدءاً من بعض بني أبناء جلدتنا، مروراً ببعض الأنظمة العربية حولنا، وانتهاءً بواشنطن والغرب عموماً.

مشكلة الرواتب هي جزء من معركة سياسية بين الشعب الفلسطيني والاحتلال الذي يحاول توظيفها لإذلال وتركيع الفلسطينيين، بالضغط على أمعائهم لإحداث مزيد من الألم أملاً في خلق حالة من عدم التوازن السياسي، وخلق مزيد من الارتباك والفوضى لدى الفلسطينيين تدفعهم للتنازل والتراجع عن حقوقهم الوطنية.

لذلك نعتقد أن بداية حل مشكلة الرواتب والحصار تكمن في:

ـ رص الصف الداخلي حكومة وشعباً، والتظاهر والاحتجاج والغضب في وجه الاحتلال المسؤول الأول عن المعاناة حتى يصل صوتنا إلى كل أنحاء المعمورة.

ـ أن تتداعى الفصائل الفلسطينية على وجه السرعة لتشكيل حكومة وحدة وطنية بعيداً عن الحسابات الحزبية الضيقة، لأن الوطن والشعب والحقوق أهم وأكبر من أي فصيل، وبالتالي عزل الأصوات «الداخلية» التي تراهن على إسقاط الحكومة الفلسطينية القائمة، كهدف يتماهى مع مطلب الاحتلال الإسرائيلي.

ـ أن يعاد النظر في بروتوكول باريس الاقتصادي الموقع بين السلطة الفلسطينية والاحتلال عام 1993، والذي ربط الاقتصاد الفلسطيني بالاقتصاد الإسرائيلي، ومن ثم التوجه نحو البديل العربي بكل الطرق والوسائل.

الرهان الأساس يقع على الفلسطينيين أنفسهم، وعلى وحدتهم حكومة ورئاسة، وعلى وحدة برنامجهم السياسي، والفرصة ما زالت قائمة من خلال حكومة وحدة وطنية، وتطوير وتفعيل م.ت.ف وفقاً لاتفاق القاهرة آذار (مارس) 2005، ووفقاً لما نصت عليه وثيقة الوفاق الوطني، وذلك حتى نستطيع كسر الحصار بوحدتنا وبالتعاون مع أشقائنا العرب وكل القوى الدولية المحبة لنا والداعمة لعدالة قضيتنا.

* كاتب فلسطيني

# حملة معايرة سورية ليست بريئة

عبدالسلام بنعيسي *

■ انطلقت في العديد من المنابر الاعلامية العربية الرسمية حملة من المعايرة لسورية. النقطة التي يقع التركيز عليها في حملة المعايرة هذه، تتلخص في كون سورية فشلت في استرداد هضبة الجولان من الكيان الصهيوني، وانها لم تُشغل آلية المقاومة المسلحة لاسترجاع هذا الجزء المحتل من أرضها، رغم انها تساند المقاومة اللبنانية وتمدها بالسلاح، وبالمال، وبالخبرة، والتوجيه، والارشاد..

قبل مناقشة الحاملين لراية الحملة الدعائية المضادة لدمشق في قولهم هذا، لا بد من الاشارة الى انه لو كان الذين يقومون بهذه الحملة مواطنين سوريين يعارضون النظام الحاكم في دمشق، وكان حافزهم لتنظيم الحملة اياها، الضغط الشعبي المشروع على النظام لحثه على اقرار الديمقراطية، والانفتاح على جميع طاقات مجتمعهم، من أجل حشدها، وتوظيفها لتحرير جزء من وطنهم من وطأة الاحتلال.. لو كان مثل هؤلاء هم الذين يقودون الحملة، فان المرء لا يملك الا ان يحترم رأيهم، ويتفهم مطالبهم، ويساندهم في مسعاهم هذا، لان المطالب الوطنية والمشروعة الصادرة عن المواطن الغيور على وطنه، تظل مطالب مشروعة ووطنية، ولا يجوز أخلاقيا السعي لمصادرتها من أصحابها، مهما كانت المسوغات والمبررات..

انما المشكل في هذه الحملة المشنونة على سورية يأتي من كونها صادرة في أغلبيتها المطلقة عن النظام الرسمي العربي. فالى عهد قريب، كان الذين أضحوا اليوم ينظمون الحملات الاعلامية ضد النظام السوري، حلفاءه الاستراتيجيين، لقد كانت القرارات الرسمية العربية تتخذ في القاهرة، والرياض، ودمشق، وكانت تملى على باقي العواصم العربية. فكيف حدث، وأصبح النظام الذي كان حليفا للقاهرة والرياض، على امتداد العقود الماضية، وكان يوصف من طرف اعلامهما بصفات، الحكمة، والتبصر، وبعد النظر.. كيف أصبح، بين عشية وضحاها، يُنظر اليه من جانبهما نظرة دونية، وصار يوصف بأقبح النعوت، ويُتهم بالعجز عن تحرير أرضه؟

القول ان النظام السوري لم يطلق رصاصة واحدة في الجولان، وانه لم يقم بأي شيء من أجل استرداد أرضه المحتلة، قول حق، ولكن يبدو انه تنطبق عليه مقولة علي بن أبي طالب: الحق الذي يراد به الباطل، لان الذين يدلون به، لا يهدفون من ورائه الى رؤية الجيش السوري يتحرك صوب هضبة الجولان ليحررها من الاحتلال الصهيوني.

فالواضح ان الهدف من كلامهم هذا، الضغط على سورية واجبارها على التخلي عن الدعم الذي تقدمه لحركة حماس في الضفة الغربية وقطاع غزة، ولحزب الله في لبنان، والتخلي عن العلاقات المتميزة التي لديها مع ايران. فهذا هو المراد من الحملة، والا لماذا كانت دمشق محبوبة ومفضلة في حرب اخراج القوات العراقية من الكويت، ولماذا كانت بالأمس، موضع ترحيب من طرف القاهرة، والرياض، وواشنطن، وباريس، وفجأة صارت اليوم، مرفوضة، وموضوعا للمعايرة؟ المتغير الوحيد الذي جرى، هو ان دمشق لم توافق على غزو العراق، وعارضت احتلاله من طرف الأمريكان، وتساند المقاومتين اللبنانية والفلسطينية.

الذين يعايرون سورية بانها لم تحرر الجولان، عليهم ان يتذكروا أولا ان الجولان قد تم احتلالها في حرب خاضتها سورية الى جانب أشقائها العرب من أجل تحرير فلسطين سنة 67، فالاحتلال لم يقع لان القوات الاسرائيلية ضلت الطريق خلال حربها مع العرب سنة 67، لقد حدث احتلال الجولان بسبب دخول سورية الحرب دفاعا عن الشعب الفلسطيني، الذي كان العرب يعتبرون ان قضيته تشكل قضيتهم المركزية.

وللحقيقة والتاريخ، يتعين علينا الاقرار بان الشعب السوري قدم التضحيات الجسام دفاعا عن قضايا أمته العربية، فليس في سورية عائلة واحدة، لم تقدم شهيدا، أو أسيرا، أو معاقا، من أجل فلسطين ولبنان. وحتى المحنة الاقتصادية التي تعاني منها دمشق، فانها في جزء مهم منها، ناجمة عن مخلفات الحروب والصراع الذي تواجهت فيها سورية مع اسرائيل. والموقف السليم الذي تنتظره الشعوب العربية من الانظمة التي تحكمها، هو، توفير الظروف الملائمة لسورية، ودعمها بالمال لرفع الضائقة الاقتصادية عنها، وتزويدها بالسلاح، واسنادها بالسياسة، والاعلام، لكي تتمكن من استرجاع أرضها، سواء بالسلم أو الحرب، وليس معايرتها بالدونية والعجز.

المعايرة لا تعني سوى ان العقل السياسي الذي يحلل بهدوء، ويستخلص الدروس والعبر من الوقائع قد تعطل، وان الرزانة قد ولت، وان الانفعال قد استحوذ على النفوس، وان التفكير أخذ طابع السطحية والابتذال. وعلى مستوى آخر، تبدو المعايرة العربية لسورية، خصوصا في هذه الظرفية الدقيقة، غير بريئة، بل وكأنها حث لأعدائها للاستفراد بها، وتشديد الخناق عليها، واجبارها على القبول بما لا ترضاه.

لا يمكن لأي عربي النظر نظرة المطمئن الى هذه الحملة الموجهة ضد سورية، والتجاوب معها، حتى وان كان من المختلفين مع الكيفية التي يدير بها النظام الحاكم في دمشق شؤون سورية، فهذه حملة مشبوهة وتثير الشكوك والريبة، وتذكر الجمهور العربي بالحملة التي كانت موجهة ضد العراق خلال مدة الحصار، وقبل شن الحرب عليه لتغيير نظامه، واشعال فتيل نار الحرب الأهلية والطائفية بين مواطنيه، لتفتيته وتقسيمه الى دويلات.

الجولان المحتلة أرض عربية، والحكام العرب ملزمون باسترجاع هذه الأرض، كما هم ملزمون باسترداد الضفة الغربية وقطاع غزة، وانشاء الدولة الفلسطينية بعاصمتها القدس. معايرة الحكام العرب لسورية بسبب الجولان، تبين المستوى الذي تردى اليه الوضع العربي الرسمي، فأنظمتنا أصبحت تتباهى بالعجز، وتتنصل جهارا من أي مسؤولية فيما يخص العمل من أجل استرداد أرض عربية تحتلها اسرائيل، بل ان هذه الانظمة باتت تتشفى في نظام شقيق، وتشمت فيه باعلامها، لانه لم يتمكن من استرجاع أرضه المحتلة.

لا تجوز معايرة سورية بالجولان المحتل، فاذا كانت هذه المعايرة مقبولة بخصوص سورية، فانها ستكون كذلك بخصوص المغرب الذي ما زالت مدينتان من مدنه محتلتين، وهما سبتة ومليلية، ونفس الأمر ينطبق على دولة الامارات العربية التي تحتل ايران جزرها الثلاث، طنب الصغرى، وطنب الكبرى وأبو موسى، وعلى الشعب الفلسطيني الذي ترفض اسرائيل الانسحاب من أراضيه. فوفقا لمنطق الحملة، كما تجوز معايرة سورية بأرضها المحتلة، يجوز الأمر ذاته مع المغرب، والامارات العربية المتحدة، والشعب الفلسطيني لان أراضي لهم ما زالت تحت الاحتلال الأجنبي. وبطبيعة الحال، هذا أمر لن يقبل به المغاربة، وكذلك الاماراتيون، والفلسطينيون، وكل انسان عربي شريف ونزيه..

أي شبر من أي أرض عربية ما زال محتلا، يشكل دليلا قاطعا على انتقاص من السيادة العربية، ويتحمل المسؤولية في وجود هذا الانتقاص من السيادة العربية النظام الرسمي العربي برمته. نقول هذا بغض النظر، عن المضمون الحقيقي للسيادة، وهل تمارسها كاملة، جميع الانظمة العربية في الأوطان التي تحكمها، أم ان استقلال الدول العربية ما زال ناقصا، ان لم نقل ان العديد من أقطارنا ما زالت ترزح تحت الوصاية الأجنبية، رغم وجود العلم، والجيش، والنشيد الوطني لديها؟

* صحافي من المغرب

# نظرة على مصر

د. مصطفى عبد العال*

احاديث النخب المصرية وواقع المشهد المصري ومواقف التيارات السياسية بتعدد الوانها تعطي انطباعا بان ما يحدث في مصر حالة شديدة الخطورة وتحتاج الى نظرة متأنية تسبر عمق السطح الراكد والذي يكاد ان يصل الى تعفن تزكم رائحته الداني والقاصي.

الواقع المعاش في مصر المحروسة كما نراه لا يرتكز في ترديه على خطوات توريث السلطة المتسارعة فقط ولا على تراجع وجود دور وسياسة مصرية تجاه الاحداث الاقليمية سواء كانت ضرب اسرائيل للبنان او الاستعداد لاحتلال السودان وفرض الوصاية عليه، كما ان جذور التردي لا تتعمق في تربة الحياة المصرية نتيجة لعدم تغيير هذه المادة او تلك في الدستور الذي يقر ان الحاكم اله حتى وان كانت المادة الثانية تؤكد على كوننا مسلمين يؤمنون ان لا اله الا الله.

اذا ما الذي نراه ونعتقد انه المرتكز الاساسي لما يحدث في مصر؟ انه ببساطة انهيار الشعور بالادمية وهذا لو تعرفون خطير فلا معني لرئاسة او دستور او احزاب او نخب متقعرة طالما كانت الاوطان لا تضم بين جنباتها بشرا بالمعني الكامل للانسانية، وحتى لا يكون الحديث مرسلا تعالوا ننظر للعديد من الاحداث التي تؤكد انهيار الادمية في مصر ففي خلال الايام والشهور والسنوات الماضية تطفو على السطح احداث ووقائع عن امتهان ادمية الناس من طرف اجهزة الامن ليس فقط من اجل الحفاظ على (امن الدوله) او امن النظام او امن الوطن بل لمجرد ممارسة الامتهان. فعلى الانترنت ومنذ شهور تعرض مقاطع مصورة لبعض رجال الامن وهم يقومون بامتهان كرامة المواطنين من اجل تمضية الوقت وادخال السرور على انفسهم عبر لقطات قاموا بتصويرها بانفسهم ليستعيدوا مشاهدتها مع اصدقائهم الذين لم يحضروا العرض الحي ليؤكدوا لانفسهم ولذويهم قدرتهم وتمكنهم من ممارسة الاذلال لمواطن بائس يجبرونه على ان ينزل ذراعيه الى جواره حتى يتمكن رجل الامن من صفعه بكل جبروت بلا اي موانع تحول بين كف الجلاد ووجه الضحية، او كما هو التعبير الادبي الشهير عن العين والمخرز فالعين التي تنغلق لاراديا عند اقتراب المخرز منها تآمر في حالة الوجه والذراعين ان تظل مفتوحة لتشهد على حجم المهانة والاذلال، وبالرغم من فداحة ما يحدث للمواطن البائس الذي يمتهن كل هذا الامتهان دعونا نتساءل عن رجل الامن وكيف يصل الى هذا الانحدار، قد يعاجلنا البعض بان النفس الانسانية لها ما لها وعليها ما عليها وان هذا يحدث من الجنود الامريكان في العراق وغيرها بالرغم مما يدعونه من تحضر ورقي والحقيقة انها ومع اعترافنا بان جنود العم سام يمارسون فحشا خطيرا الا ان القضية مختلفة فذلك الشاب الابيض القادم من عمق الجهالة الامريكية التي يجسدها الرئيس المفكر جورج بوش ينطلق من كونه يتعامل مع (بشر) مختلفين شكلا ولغة ودينا مما يجعل جهالته تساعده على اخراجهم من السياق الانساني فيراهم كما كان اسلافه يرون الهنود الحمر اما اشاو